مدخل مفاهيمي في تحليل الخطاب

السنة الأولى ماستر تخصص: الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة

(2024-2023)

قسم علوم الإعلام والاتصال – جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02

أ/ وشان

لعل بيسونس Buyssens أول من طرح مسألة الخطاب في الدراسات اللسانية عام 1942، فيما استخدم بول ريكور Paul Ricœur مفهوم الخطاب عوضا عن الكلام، واستبدل ثنائية فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure اللسان/الكلام بثنائية اللسان/الخطاب.

لقد أثار مصطلح الخطاب إشكالية مفاهيمية ارتهنت بالخلفية العلمية للدارسين وتشابكت مع توجهاتهم الإيديولوجية والسياسية، كما ارتبطت بالمجال المعرفي الذي تصدر عنه (اللغة، الفلسفة، الدين، السياسة، الإعلام..) وخضعت للبيئة الثقافية والفكرية والسياسية للمجتمع.

مفهوم تحليل الخطاب

التحليل:

أ-لغة: جاء في المعجم الوسيط (في مادة حلّل): التحليل من حلل العقدة: حلَّها – والشيء أرجعه إلى عناصره الأولى، يقال حلَّل الدم، وحلَّل البول، وحلَّل نفسية فلان: درسها لكشف خباياها... وتحليل الجملة: بيان أجزائها ووظيفة كل جزء منها.

ب–اصطلاحا:

هو: "نوع من الدراسة يعتمد على كشف خبايا الرسالة سواء كانت منطوقة أو مكتوبة أو مرئية، كما نقف على جزئياتها وعناصرها الأولية بالشرح والتفسير والتأويل دون مبالغة في ذلك أو إخلال فيه".

مفهوم الخطاب:

أ– لغة:

كلمة الخطاب لغويا مستمدة من الفعل الثلاثي "خَطَبَ"، والخطب هو الشأن صغر أو عظم، خطب الخاطب على المنبر خطبة (الخُطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب)، وخطب المرأة خِطبة طلب إلى وليها أن يزوجه منها. والمخاطبة هي المحادثة، أما الخطاب فهو الكلام المتبادل ما بين اثنين. وقد ورد في القرآن الكريم اللفظ في عدة آيات منها:

{وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} سورة ص، الآية: 12.

وعرّفه ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة عندما قال: "خطب يخاطبه خطابا، والخُطبة الكلام المخطوب به، والخَطب: الأمر يقع، وإنّما سمي بذلك لما يقع فيه التخاطب والمراجعة".

تجدر الإشارة إلى أنّ "جل المرادفات الأجنبية الشائعة لهذا المصطلح مأخوذة من الأصل اللاتيني Discursus المشتق من الفعل Discurrere الذي يعني الجري ذهابا وإيابا، يتحول الخطاب وفق هذا المدلول إلى رسالة أو نص، كما قد يعني العرض والسرد.

ب– اصطلاحا:

يعرف بأنه "حوار متبادل بين شخصين على الأقل؛ فهو عملية تلفظية حيوية في الزمان والمكان يديرها شخصان أو أشخاص بالكلام وبغير الكلام "ومن هنا فالخطاب هو عملية تستلزم وجود شخصين على الأقل في مكان وزمان معينين لكي تتم.

لعل أبسط تعريف للخطاب من وجهة نظر لسانية هو ما ذهب إليه الفرنسي إميل بنيفنيست Émile Benveniste الذي يرى أنّ الخطاب هو كل تلفظ يفترض متحدثا وسامعا، تكون للطرف الأول نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال، ومن ثمة، فهو يميز بين نظامين من التلفظ، هما الخطاب والحكاية التاريخية،

فالخطاب قوامه جملة الخطابات الشفوية المتنوعة، ذات المستويات العديدة، وجملة الكتابات التي تنقل خطابات شفوية، أو تستعير طبيعتها، وهدفها شأن المراسلات والمذكرات... يختلف عن الحكاية التاريخية في مستويين اثنين، هما: الزمن، وصيغ الضمائر، فالخطاب يوظف كل الأزمنة، في حين لا يكون زمن الحكاية التاريخية إلاّ زمنا ماضيا، لا يمكن تحديده، كذلك يتعامل الخطاب مع صيغ الضمائر المختلفة، في حين يقتصر توظيف الضمائر في الحكاية التاريخية على صيغة الغائب.

أمّا في العصر الحديث فقد ارتبط المفهوم المعرفي والفلسفي للخطاب بكتابات ميشال فوكو Michel Foucault الذي ينظر لأبحاثه عن الخطاب أنها ذات أهمية كبيرة في الدراسات الثقافية، ويعتقد الكثير من الدارسين أنّه الوحيد الذي عرف بدقة مفهوم الخطاب، ووصف آخرون أنّ أبحاثه عصية على الفهم، نظرا لتعدد مواضيعه البحثية في التاريخ والجنون والأدب النسوي ....، حيث ترى سارة ميلز أنّ أعمال فوكو تمثل تنويعة عريضة من الموضوعات، ومن الصعب أن نصفه بالمؤرخ أو الفيلسوف أو العالم النفسي أو المفكر النقدي.

ومن بين التعريفات التي قدمها ميشال فوكو للخطاب: "شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب"؛ إذا فوكو يرى أن الخطاب هو عبارة عن شبكة تتكون من مجموعة نُظم اجتماعية وسياسية وثقافية من شأنها أن تبرز لنا الكيفية التي ينتج فيها الكلام على شكل خطاب وبالتالي الخطاب عنده هو كلام مرتبط بنظم مختلفة.

ويرى فيركلاو Fairclough أن مفهوم الخطاب يقصد به استخدام اللغة حديثا وكتابة، كما يتضمن أنواعاً أخرى من النشاط الإعلامي مثل الصور المرئية والصور الفوتوغرافية، والأفلام والفيديو، والرسوم البيانية، والاتصال غير الشفوي مثل حركات الرأس أو الأيدي.. الخ. ويخلص إلى أن الخطاب هو أحد أشكال الممارسة الاجتماعية

أمّا زيليغ هاريس Zellig Harris فقد عرّفه باعتباره: "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض".

والتحليل التوزيعي يقوم على تقطيع النص إلى عناصر تركيبية مجتمعة في طبقات متعادلة. حيث وصفها ويلز H.Wells بأنّها جملة من التعليمات والتوصيات العملية المتعلقة بالوصف اللساني، والكيفية التي ينبغي أن يتم بها اكتشاف نحو لسان ما، إنها منهجية اختبارية لجمع المعطيات اللغوية ومعالجتها بدقة وموضوعية.

أما هيلمسلف Hjelmslev فيرى أن الخطاب هو النص الملفوظ كيفما كان، منطوقا أو مكتوبا، طويلا أو قصيرا، قديما أو حديثا. وهي تسوية لا تخفى بين النص والخطاب لفظا وكتابة، الإشتغال في التواصل ظاهر. ويطابقه في رأيه هذا جاكسون في تأكيده على أن الخطاب "نص تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام.

يأخذ الخطاب مفهومه بالنسبة إلى الوحدات اللسانية الأخرى، كالتالي:

- **الجملة**: يعتبر الخطاب وحدة فوق جملية.
- **الملفوظ**: يشكل الخطاب وحدة تواصلية مجموعة بظروف إنتاج معينة وتشير إلى جنس معين من أجناس الخطاب، بينما النظر إلى النص من جهة بنائه اللغوي يجعلنا نتكلم عن ملفوظ هو نتاج عملية التلفظ، بينما يكون تحليل ظروف إنتاج هذا النص حديثا عن الخطاب.
- **النص**: يذهب بعض الباحثين إلى تعريفه مباشرة من خلال مكوناته، من بينهم تودوروف، الذي ينظر للنص كونه نظام تضميني نستطيع التمييز بين مكوناته على ثلاثة أوجه: ملفوظي، ونحوي، ودلالي وهو يوازي النظام اللغوي ويتداخل معه. وقسم ثان يعرفه من خلال ارتباطه مع الإنتاج الأدبي، ويمثله رولان بارت الذي وجد عند جوليا كريستيفا تعريفا جامعا أو أصوليا، فالنص: آلة نقل لساني وإنه يعيد توزيع نظام اللغة فيضع الكلام التواصلي أي المعلومات المباشرة، في علاقة تشترك فيها ملفوظات سابقة أو متزامنة ومختلفة، فالنص بهذا المعنى فعالية كتابية ينضوي تحتها كل من الكاتب والقارئ، و قبل ذلك قدم مفهوما للنص وسمه بأنه تقليدي وشائع ومؤسسي، فهو نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بشكل ثابت، أهم مهماته أنه يضمن بقاء الشيء المكتوب، وهو مرتبط تاريخيا بعالم بأكمله من النظم كالقانون والدين والأدب والعلم.

إن كان ثمة تداخل ظاهريا بين النص والخطاب، إلا أنه يمكن الفصل بينهما، فالنص هو التجسيد اللغوي أثناء عملية التواصل شفاهيا أو كتابة، أما صياغته الأسلوبية الكاشفة عن الموقف والتجربة والثقافة الاجتماعية المشروطة لخلق التفاعل بين طرفي الخطاب الباث والمتلقي فهي؛ الخطاب، فالخطاب هو إملاء خارجي اجتماعي ثقافي وظرفي.

ولا يختلف هذا التصور عن التصور الذي قدمه من قبل فرديناند دي سوسير حين عد النص كلاما، ولم يفرق بين لسانيات النص ولسانيات الكلام، وهو التصور ذاته الذي تبناه فيما بعد فان ديك، حيث يتماهى النص عنده مع الخطاب، سوى أنّ النص إنجاز بالفعل والخطاب إنجاز بالقوة، ذلك أن الخطاب هو الهيكل التنظيمي الذي يتجسد

عبره النص. فالخطاب يجب أن يدرس ضمن الاستعمال الآني للغة، باعتباره حدثا، لا يفهم إلا ضمن التفاعل الاجتماعي الذي انبثق منه، والذي يشكل سر انسجامه.

عناصر العملية التخاطبية عند رومان جاكبسون Roman Jakobson

كان رومان جاكبسون في بداية مشواره أحد رواد المدرسة (الشكلانية الروسية) وعندما لجأ إلى الولايات المتحدة الأمريكية بداية الحرب العالمية الثانية، بحث في النظرية اللسانية لفيلسوف البنيوية الفرنسي كلود ليفي ستروس Claude Lévi-Strauss، بعدما انضم إلى البنيوية الآخذة في الانتشار وأهم مؤلف لجاكوبسون هو " قضايا الشعرية" الذي تحدث فيه عن وظائف اللغة.

وقد صاغ جاكوبسون مخططه في دراسة شهيرة أصبحت من أهم وثائق البنيوية بعنوان " تعقيب ختامي: اللغويات والشعرية".. وقد ألقاها في مؤتمر عقد بجامعة أنديانا (17-19 أفريل 1958) .

يرى جاكوبسون:"أنّ المرسل يوجه رسالة إلى المرسل إليه. ول كي تكون الرسالة فاعلة، فإنها تقتضي بادئ ذي بدء، سياقا تحيل عليه، وهو يدعى أيضا المرجع، باصطلاح غامض نسبيا، سياقا قابلا لأن يدركه المرسل إليه، وهو إما أن يكون لفظيا أو قابلا لأن يكون كذلك، وتقتضي الرسالة، بعد ذلك سننا مشتركا، كليا أو جزئيا، بين المرسل والمرسل إليه أو بعبارة أخرى بين السنن ومفكك سنن الرسالة، وتقتضي الرسالة، أخيرا، اتصالا، أي قناة فيزيقية وربطا نفسيا بين المرسل والمرسل إليه. اتصالا يسمح لهما بإقامة التواصل والحفاظ عليه "، ويكتشف مفهوم الخطاب وتطوره بدءا بخطاطة جاكوبسون التالية:

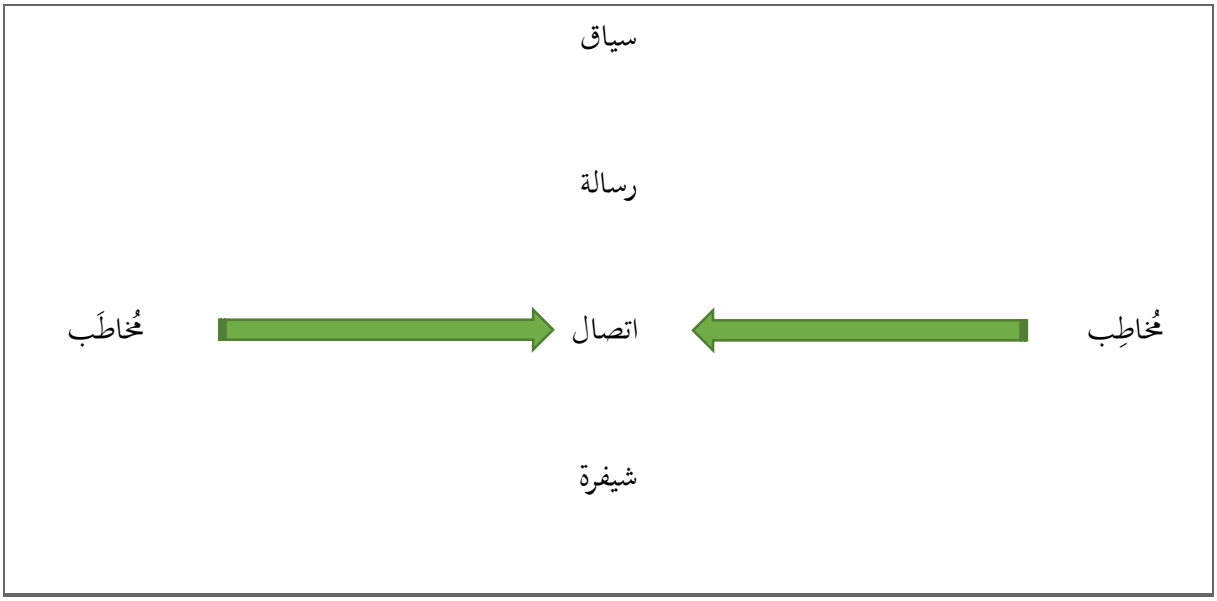

خصائص الخطاب

لقد أجملت الطاوس غضابنة الخصائص العامة للخطاب، فيما يلي:

- أن الخطاب تاريخي، بالمعنى الذي يكون محددا ومحورا بواسطة قوى بسيكو –سوسيولوجية، كما أنه يقع في دائرة كل ما لا نقوله، فالخطاب مجموعة من الدلالات الإجبارية التي تقع عبر العلاقات الاجتماعية.
- أن الخطاب يظهر إجمالا انسجاما وتناسقا وخاضع لقواعد نظام أساسي يظل ينتظر التحديد من خلال استراتيجية ينبغي أن تكون مقبولة علميا (براجماتيا) داخل الأمة المفسرة.
- الدعاوي التفسيرية المتموضعة في الخطاب تحت الضغط الحاسم، فلا يوجد خطاب من غير موضوع.
- كل ممارسة خطابية هي بالقوة تطبيق تقاطع سيميائي (Inter sémiotique)
- الخطاب العام وليد السياق العام والخطاب الخاص (الحواري) وليد بناء النسقية (Contextualisation).
- الخطاب مرتبط بالعقل، الفكر والمعرفة.

بعض المراجع المعتمدة:

إبراهيم فضالة، (2018)، إشكالية مصطلح الخطاب في الدراسات النقدية، مجلة الآداب واللغات، المجلد 07، العدد 02.

رشيد وقاص، (2020)، محاضرات في مقياس تحليل الخطاب مطبوعة بيداغوجية معدة لطلبة السنة الأولى ماستر لسانيات الخطاب، جامعة العربي التبسي – تبسة.

سارة ميلز، (2016)، الخطاب، تر علوب عبد الوهاب، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

سعد بولنوار، (2016)، البنية النظرية للخطاب والنص، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، المجلد 07، العدد 01.

سمية مويلح، (2023)، الخطاب دراسة إجرائية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 17، العدد 01.

صابر بقور، (2019)، الخطاب الديني في السينما الإيرانية الأمريكية –دراسة تحليلية مقارنة، (أطروحة دكتوراه منشورة)، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

طه عبد العاطي نجم، (2015)، مناهج البحث الإعلامي، ط1، مصر دار نشر كلمة.

علي بن حمد الريامي، (2019)، تحليل الخطاب المفهوم والمنهج، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، المجلد 09، العدد 02.

فطومة بن مكي، (2019)، مطبوعة محاضرات في مقياس تحليل الخطاب موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر اتصال وعلاقات عامة، جامعة الجزائر 03.

مريم بوقرة، صورية جغبوب، (2017)، الخطاب: مفهومه، أنماطه، وظيفته من وجهة نظر الوظيفية –أحمد المتوكل أنموذجا– مجلة تاريخ العلوم، المجلد 04، العدد 10.